

النظرية الإدماجية Jean Benjamin Stora

عناصر الدرس:

- تمهيد
- المستويات التحتية الأساسية للاستجابة العصبية الخاصة بالانفعالات
- المراحل الخمس للجسدنة

المراجع:

Stora J.B <http://www.societedepsychosomatiqueintegrative.com/article-histoire-de-la-psychosomatique-cours-du-pr-jean-benjamin-stora-107432555.html>

Stora J.B (2012/2),Le rôle de l'appareil psychique, des mécanismes neuronaux et neurohormonaux dans les somatisations : l'approche de la psychosomatique intégrative,Annales Médico-Psychologiques,revue de psychiatrie, 170(1), 26-31

تمهيد:

نظرا للضعف النظري لنظرية بيارمارتي حاول ستورا أن يستدرك ذلك بالاستعانة بزيادة على المعطيات النفسية) كما تم معالجتها من طرف النظرية التحليلية) بالمعطيات الخاصة بالطب وعلوم الأعصاب وذلك ضمن مقارنة نسقية حاولت توضيح مختلف مستويات الوحدة السيكوسوماتية للفرد. انطلق ستورا من فكرة أن الوحدة السيكوسوماتية للفرد هي نظام من الأنظمة تتشكل خلال سيرورة طويلة من النمو النفسي الجسدي و البيولوجي والعصبي تعمل هاته الأنظمة على الحفاظ على تجانس الاتزان Homéostasie.

تتمثل هاته الأنظمة في:

- النظام النفسي (وفق المفهوم التحليلي ووفق نظرية بيارمارتي)
- الجهاز العصبي المركزي
- الجهاز العصبي المستقل (الجهاز الودي le système sympathique والجهاز شبه الودي Le système (parasymphatique).
- الجهاز المناعي.
- الجهاز الوراثي Le génome

المستويات التحتية الأساسية للاستجابة العصبية الخاصة بالانفعالات:

هناك 4 مستويات:

- النظام الاستكشافي الذي يسمح للكائن بالحفاظ على البقاء (البحث عن اللذة وتجنب الألم).
- نظام ردود أفعال اتجاه التهيج والغضب نتيجة اعتداء ينتج عنه حالات من الإحباط المنشط من طرف الإسقاطات للوزة Amygdale المرتبطة بنظام الهيپوتلاموس. تستنفر كل وظائف الجسد على مستوى الجهاز العصبي المستقل لتحضير الفرد للمحاربة: تزايد في ضربات القلب ، إعادة توجيه تدفق الدم إلى الجهاز العضلي، توقف للجهاز الهضمي وللجهاز الشرجي وللرغبات الجنسية.
- نظام رد فعل الخوف المولد للقلق هو مصدر ردود أفعال الهرب وهو شبيه بنظام التهيج الغضب حيث تتدخل الاسقاطات العصبية للوزة المرتبطة بما تحت المهاد الفرق الوحيد أن الجهاز المستقبل للمثيرات هو الجهاز الإعاشي : وجود إسهالات مثلا.
- نظام الانفصال الانزعاج أو ما يسمى بنظام الهلع هو ليس مرتبط فقط بالقلق الناتج عن الهلع ولكن مرتبط كذلك بمشاعر الحزن والضياع المصاحبة غالبا للحالات الاكتئابية. في هذا الجهاز تلعب الحلقة الحزامية le gyrus cingulaire الدور العصبي وهي مرتبطة بأنوية المهاد وما تحت المهاد.

المراحل الخمس للجسدنة:

المرحلة الأولى: تتضمن مختلف السلوكات النفسية والسوماتية الموجهة لتدعيم مضادات المثيرات الفردية والتي تعتبر آليات استعجالية يستعين بها الأنا لمواجهة الوضعيات المسببة للاضطرابات الصغرى الخاصة بتجانس الاتزان Homéostasie: تواجد لشخص مهدئ، صوت مطمئن، ضحك، بكاء، انسحاب انفعالي من خلال النوم المفرط أو غير العادي، التعبير شفهيًا عن الانفعالات، الاعتراف، اللعب، العمل، الرياضة. التفرغ على المستوى السوماتي: التبول، التبرز بطريقة متكررة إفراط جنسي، التدخين، تناول الكحول.

المرحلة الثانية: في حالة تزايد مخاطر وإحباطات وصعوبات ، تستنفر وظائف تكيف الأنا. على المستوى النفسي إن من بين نتائج الأولى لكساد الآليات العادية هو الشعور بالانزعاج المرتبط بمجهودات التركيز العقلي والتحكم في الذات؛ لتدعيم وللتحكم في هاته الظاهرة يتبنى الأفراد حالة من التيقظ المفرط التي من مؤشراتهما التهيج وحالة الشرود والأرق.

تصاحب المظاهر الانفعالية هاته الحالة: ضحك هستيري، هجمات من الغضب، وحساسية مفرطة التي تصاحبها أحيانا حالة من الاكتئاب(المرتبط بحالات حداد معاصرة) وسلوكات قهرية ونشاط مفرط. على المستوى السوماتي: وجود اضطرابات تنفسية واضطرابات جلدية وتسارع في دقات القلب، غثيان، اسهال، آلام الرأس، اضطرابات هضمية، اضطرابات السلوك الغذائي، اضطرابات الجنسية، آلام عضلية.... تصاحب كل هاته الحالات اضطرابات القلق، عاملة بذلك على اضعاف مستوى التوتر والضغط. تعتبر كل هاته السيوررات مستهلكة للطاقة وهي لذلك تتسبب في مظاهر التعب.

المرحلة الثالثة: على المستوى النفسي تتميز آليات التوازن بوجود فترات مناوئة من إنكار الواقع ومن تقبله حيث أن الجهاز النفسي ونظرا لوجوده في حالة ضعف سوف لن يتمكن من امتصاص كمية المثيرات.

يحصل التفكك بفعل التحولات الداخلية لحالات الوعي: إغماءات، فترات نسيانية، انسحاب مؤقت من الواقع. إن هاته الآلية بالرغم من قدرتها على تحسين الوضعية الصعبة إلا أنها لا يمكنها التخفيف من المعاناة النفسية للفرد الذي سوف يتوظف إما وفق نمط رمزي(سحر ورقية أو طقوس...) للتخفيف من الضغوط، أو من خلال الالتجاء إما إلى النشاطات القهرية أو إلى هوس الحريق أو هوس السرقة. تمثل كل هاته الأفعال محاولة ضبط النزوات العدوانية.

الاضطرابات السوماتية المرتبطة بهاته المرحلة: أزمة ربو، إكزيما، الاضطرابات الالتهابية للجلد وللعيون، قرحة المعدة، أزمة قلبية، روماتيزم، حساسية ، اضطرابات جنسية، انقطاع الحيض، اضطرابات الجهاز الهضمي: اسهال، فرحة معدية، إمساك.....

على مستوى المرحلة الثالثة يفتقد الأنا لتنظيمه ويظهر ذلك من سلوكات التشويه الذاتي أو الالتجاء إلى مختلف العمليات الجراحية أو التعرض بطريقة واعية تقريبا للحوادث من أجل التشويه الذاتي، الإدمان على المخدرات الاصابات التوهمية، تصنع الإصابات السوماتية.

إن الاستعانة النفسية بمختلف الإصابات الجسدية تسمح للأفراد بإيجاد التوازن ما بين القوى الصراعية للواقع وللنزوات وللوعي وذلك مقابل دفع ثمن غالي.

في المراحل الثلاث الأولى تكون الآليات المستعان بها مؤقتة واستعجالية، حيث أن الأنا لا يعتبرها كمكتسيات ثابتة.

المرحلة الرابعة: إن الظهور غير المتحكم فيه للنزوات العدوانية القاتلة بفعل التفكك يؤدي إلى تشوش في التنظيم النفسي الجسدي للأنا. في هذا المستوى يواجه الفرد نموذجين من الأحداث الصادمة: إما لأحداث دائمة "ضغط مستمر" أو لأحداث متسلسلة دقيقة ومعاودة-ضغط حاد" أو تسلسلي.

تثير هاته الأحداث ردود أفعال اكتئابية: الاكتئاب الخالص (Dépression essentielle) بمفهوم بيار مارتني) الذي ينبء عن حدوث تفكك تدريجي. إن ردود الأفعال اتجاه مثل هاته الحوادث تتضمن أحيانا سلوكات عنف أو مظاهر غضب غير متحكم فيها تنتهي أحيانا بانتحارات أو لحالات التشويه الذاتي. إن تفكك الأنا يمكن ان ينكشف خلال سلوكات التعدي الجنسي وسلوكات الشذوذ.

الاضطرابات السوماتية الخاصة بهاته المرحلة: الاضطرابات القلبية والكلىة والتنفسية واضطرابات المناعة والسرطان وهي تتميز بكونها اضطرابات خطيرة جدا تؤدي إلى تفكك التدريجي لكل الأنظمة.

المرحلة الخامسة: في هاته المرحلة يمكن للأنا أن يكون في مرحلة جد متفككة وغير قابلة للإصلاح، كما أن الوظيفة التنظيمية تتواجد في حالة انهاك مما يؤدي التفكك المستويات العميقة للجهاز النفسي إلى حد الحالات الهذيانية والهوسية والذهانية.